الإصحاح الرابع

البتـــولية

" [1] إن البتولية مع الفضيلة أجمل فإن معها ذكراً خالداً لأنها تبقى معلومة عند الله و الناس. [2] إذا حضرت يقتدي بها و إذا غابت يشتاق إليها و مدى الدهور تفتخر بإكليل الظفر بعد انتصارها في ساحة المعارك الطاهرة. [3] أما لفيف المنافقين الكثير التوالد فلا ينجح و فراخهم النغلة لا تتعمق أصولها و لا تقوم على ساق راسخة . [4] و إن أخرجت فروعاً إلى حين فإنها لعدم رسوخها تزعزعها الريح و تقتلعها الزوبعة. [5] فتنقصف فروعها قبل أوانها و تكون ثمرتها خبيثة غير ناضجة للأكل و لا تصلح لشيء. [6] و المولودون من المضجع الأثيم يشهدون بفاحشة والديهم عند استنطاق حالهم." (حك 4 : 1-6)

خير للإنسان أن يكون بتولاً بلا أبناء وعنده حكمة عن أن يكون له أبناء ولا يستطيع أن يُدخلهم ويدخل معهم السماء، لأن ذكرى الحكمة خالدة عند الله والناس ومدى الدهور تلبس التاج (أي منتصرة)، حيث أن إكليل الظفر والانتصار في المعركة هو الحافز الأكبر خلال الجهاد والتعب والاستهانة.

النغلة = الابن الغير شرعي .. أنظر **" ولكن ان كنتم بلا تأديب قد صار الجميع شركاء فيه فانتم نغول لا بنون." (عب 12 : 8).**

وهنا يقلل السفر من شأن الذرية غير الصال حة ويضعها في الميزان مع الحكمة فتربح الحكمة . فيقول أنه مهما تكاثر الأشرار فإنهم يكونون بلا فائدة، هم وأبنائهم، الذين شبههم بأبناء الزنى، كشجرة فسدت أصولها ولا تكون جذورها عميقة في الأرض، ولا يقومون على أسس ثابتة، وإن أخرجوا فروعاً إلى حين فلابد أن تزعزعهم الريح وتقتلعهم الزوابع، فتنكسر فروعهم الفاسدة . وثمارهم الخبيثة لا تنضج فلا تؤكل ولا تعد صالحة لشيء . والمولودون في الحرام (أي الأبناء غير الشرعيين) يشهدون يوم الحساب على ما أرتكبه آباءهم وأمهاتهم من عار.

قارن **(حك 4 : 1)** مع **" لأنه لا يتزعزع إلى الدهر .الصدّيق يكون لذكر أبدي" (مز 112 : 6)** وأيضاً **" ذكر الصدّيق للبركة واسم الأشرار ينخر ." (أم 10 : 7)**

وقارن **(حك 4 : 2)** مع **"[24] ألستم تعلمون أن الذين يركضون في الميدان جميعهم يركضون ولكن واحداً يأخذ الجعالة . هكذا اركضوا لكي تنالوا. [25] وكل من يجاهد يضبط نفسه في كل شيء. أما أولئك فلكي يأخذوا إكليلاً يفنى و أما نحن فإكليلاً لا يفنى. "(1كو 9 : 24،25)**

وقارن **(حك 4 : 3)** مع **" من تحت تيبس أصوله ومن فوق يقطع فرعه ." (أي 18 : 16)**

وقارن **(حك 4 : 4)** مع **" [19] كل شجرة لا تصنع ثمراً جيداً تقطع وتلقى في النار. [27] فنزل المطر وجاءت الأ نهار وهبت الرياح وصدمت ذلك البيت فسقط . وكان سقوطه عظيما. " (مت 7 : 27،19)**

وقارن **(حك 4 : 5)** مع **" [17] فإن كان قد قطع بعض الأغصان وأنت زيتونة برية طعّمت فيها فصرت شريكاً في أصل الزيتونة ودسمها . [19] فستقول قطعت الأغصان لأطعم أنا . [20] حسناً. من أجل عدم الإيمان قطع ت وأنت بالإيمان ثبتّ . لا تستكبر بل خف ." (رو 11 : 20،19،17) ، " كل معاصيه التي فعلها لا تذكر عليه. في بره الذي عمل يحيا." (حز 18 : 22).**

" [7] أما الصديق فإنه و إن تعجله الموت يستقر في الراحة . [8] لأن الشيخوخة المكرمة ليست هي القديمة الأيام و لا هي تقدر بعدد السنين. [9] و لكن شيب الإنسان هو الفطنة و سن الشيخوخة هي الحياة المنزهة عن العيب . [10] إنه كان مرضيا لله فأحبه و كان يعيش بين الخطاة فنقله . [11] خطفه لكي لا يغير الشر عقله و لا يطغي الغش نفسه . [12] لأن سحر الأباطيل يغشي الخير و دوار الشهوة يطيش العقل السليم." (حك 4 : 7-12)

كان يوجد اعتقاد أن الإنسان البار لا بد أن يعيش عمراً طويلاً في هذه الدنيا، ولكن غالباً ما كان الواقع يكذب هذه الأقوال . وهنا المؤلف يتناول موضوع (البار يموت شاباً)، ولكن حكمة الرب هي أن يأخذ الإنسان في أحسن حال له كما حدث في قصة ابن المعلم إبراهيم الجوهري عندما أخذه الرب قبل زواجه بفترة قصيرة، وحزن المعلم إبراهيم الجوهري وزوجته ولكن الأنبا أنطونيوس ظهر لكليهما وقال لهما الرب أراد بذلك أن تبقى سيرة ابن المعلم إبراهيم الجوهري نقية وطاهرة كما هي. ويوضح الكاتب هنا أن الشيخوخة المكرمة ليست بعدد السنين، ولكنها بعدد الأيام البعيدة عن الخطية لذلك أحبه الله فأخذه من بين الخطاة لكي ينعم بالفردوس قبل أن يغيره الأشرار . أرجو الرجوع إلى قصة أبونا منسّى يوحنا الذي أنتقل وهو لم يزل صغيراً في السن تاركاً لنا تراثاً عظيماً من المؤلفات القيمة في فترة قصيرة جداً من خدمته.

ويمكن أن نشبه حياتنا بمسرحية، نقوم بالتمثيل فيها، ويعطينا الرب من محبته دوراً صغيراً حتى نتقنه، حيث أنه إذا أعطانا دوراً معقداً قد تظهر عيوبنا ونكشف للناس مدى ضعفنا . هذا ما يحدث مع الأبرار الذين ينتقلون إلى السماء في سن صغيرة، حيث يحميهم الرب لأنه يحبهم. وينقل الرب البار من بين الأشرار حتى لا ينحرف بشرهم. وهكذا يؤكد الفكر الآبائي الذي يقول أن الله يأخذ الإنسان في أحسن حالاته، فإن كان باراً حتى لا يبعد عن الصلاح، وإن كان شريراً حتى لا يتوغل في شره.

قارن **(حك 4 : 10)** والتي تشير إلى أخنوخ البار مع **" وكانت أيام آدم بعدما ولد شيثاً ثماني مئة سنة وولد بنين وبنات." (تك 5 : 4)**

وقارن **(حك 4 : 11)** مع **" باد الصدّيق وليس أحد يضع ذلك في قلبه ورجال الإحسان يضمون وليس من يفطن بأنه من وجه الشر يضم الصديق ." (أش 57 :1)**

" [13] قد بلغ الكمال في أيام قليلة فكا ن مستوفياً سنين كثيرة . [14] وإذ كانت نفسه مرضية للرب فقد أُخرِجَ سريعاً من بين الشرور أما الشعوب فأبصروا و لم يفقهوا و لم يجعلوا هذا في قلوبهم . [15] أن نعمته و رحمته لمختاريه و افتقاده لقديسيه . [16] لكن الصديق الذي قد مات يحكم على المنافقين الباقين بعده الش ببية السريعة الكمال تحكم على شيخوخة الأثيم الكثيرة السنين. [17] فإنهم يبصرون موت الحكيم و لا يفقهون ماذا أراد الرب به و لماذا نقله إلى عصمته . [18] يبصرون و يزدرون و الرب يستهزئ بهم . [19] سيسقطون من بعد سقوطاً مهيناً و يكونون عاراً بين الأموات مدى الدهور فإنه يحط مهم وهم مُبْلِسون مُطْرِقون و يقتلعهم من الأسس ويتم خرابهم فيكونون في العذاب و ذكرهم يهلك . [20] يتقدمون فزعين من تذكر خطاياهم و آثامهم تحجهم في وجوههم." (حك 4 : 13-20)

يبلغ الإنسان البار من الكمال حداً لا يبلغه الأشرار أو أحد سواه في سنين كثيرة، وإذا كان ا لرب راضياً عنه فسوف يبعده عن الأشرار . والأشرار يبصرون ولكنهم لا يفهمون أن نعمة الرب ورحمته هما لقديسيه وأنه يهتم بالذين اختارهم.

ويقول القديس جيروم : لماذا نحزن على الموتى فعلينا أن نحزن فقط على الذين ذهبوا إلى الجحيم، أما الأبرار فلابد أن نفرح بأنهم سيلاقون الرب.

ويتحدث السفر عن أخنوخ دون أن يذكر أسمه **بلغ الكمال في أيام قليلة** وقد نقله الله سريعاً .. فإن أخنوخ هو مثل مناسب لهذه الآيات، ونحسب عمر الإنسان بما أحرزه من نجاح وما حققه من فضائل فالأتقياء ولو ماتوا يح كمون على الأحياء الأشرار. وهؤلاء الأشرار إذا شاخوا بعد عمر طويل لا يجدون كرامة عند الشباب الذين بلغوا الكمال. وهم إذا رأوا حكيماً عاجله الموت لا يفهمون أن تلك هي مشيئة الرب وأنه أراد بذلك أن ينقله إلى دار الأمان . يرون ذلك ويتهكمون ولكن الرب يهزئ بهم وعندما يموتون تكون جثثهم بين الأموات موضع سخرية بلا كرامة إلى الآبد، ويكونوا في عذاب ويختفي ذكرهم ويكونوا خائفين من يوم الحساب فتدينهم آثامهم.

قارن **(حك 4 : 13)** مع **" وإذ كمّل صار لجميع الذين يطيعونه سبب خلاص ابدي." (عب 5 : 9)**

وقارن **(حك 4 : 15)** مع **" فقال اذهب وقل لهذا الشعب اسمعوا سمعا ولا تفهموا وابصروا إبصاراً ولا تعرفوا." (أش 6 : 9)**

وقارن **(حك 4 : 16)** مع **" لا يكون بعد هناك طفل ايام ولا شيخ لم يكمل ايامه.لان الصبي يموت ابن مئة سنة والخاطئ يلعن ابن مئة سنة." (أش65: 20)**

، "[41] رجال نينوى سيقومون في الدين مع هذا الجيل ويدينونه لأنهم تابوا بمناداة يونان. وهوذا اعظم من يونان ههنا. [42] ملكة التيمن ستقوم في الدين مع هذا الجيل وتدينه. لأنها أتت من أقاصي الأرض لتسمع حكمة سليمان . وهو ذا اعظم من سليمان ههنا." (مت 12 : 41،42)

وقارن **(حك 4 : 18)** مع **" وأما أنت فقد طرحت من قبرك كغصن أشنع كلباس القتلى المضروبين بالسيف الهابط ين إلى حجارة الجب كجثة مدوسة ." (أش 14 : 19) ، " الساكن في السموات يضحك. الرب يستهزئ بهم." (مز 2 : 4) ، " الرب يضحك به لانه رأى أن يومه آت." (مز 37 : 13)**

وقارن **(حك 4 : 19)** مع **" العدو تم خرابه إلى الأبد. وهدمت مدنا. باد ذكره نفسه." (مز 9 : 6)**

وقارن **(حك 4 : 20)** مع **" يوبخك شرّك وعصيانك يؤدبك.فاعلمي وانظري إن تركك الرب إلهك شر ومر وان خشيتي ليست فيك يقول الس يد رب الجنود ." (أر 2 : 19)**

وإن التوبة عن الخطايا تغير الإنسان إلى الأفضل، ومع التوبة يجب أن يكون هناك أعمال رحمة. من يخجل من خطاياه ثم يقدم عنها توبة فإن الله يضمن له عدم الخزي هناك. أما من يرفضون التوبة فسوف يخزون وحينئذ آثامهم تتهمهم في وجوههم .

هذه هي المقارنة الشيقة بين الشرير الذي ينجب ويُهَبْ نسلاً مقابل العاقر و الخصي البار، وكم هو مقبول عند الله البر أكثر من الشر وأن البار سيخلد وإن كان عاقراً في حين يهلك الشرير بخطاياه .. وفي المجازاة يفرح الأبرار ويخزي الخطاة وهو عكس ما كان يحدث على الأرض.